جامعة عين شمس
حوليات آداب عين شمس المجلد 51 (عدد إبريل – يونيو 2023)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
كلية الآداب

التأنيث والتذكير في النحو الأصل والدلالة، الممنوع من الصرف أنموذجًا (دراسة جندرية)

د. رشا ياس عبد نصار*

جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية
rasha.y@coeduw.uobaghdad.edu.iq

تاريخ الاستلام: 2022/3/26
تاريخ قبول البحث: 2022/4/12
تاريخ النشر: 2023/6/30

المستخلص:

مارس الموروث سطوته على طريقة التفكير الإنسانية عمومًا، والعربية خصوصًا، وعندما نحدد الموروث فنعني به الموروث البشري بشكل عام، منذ بداية الحضارة، بوصف النص الأول الذي عمل على نمذجة الأشياء وترميزها، واللغة العربية بوصفها لسان خاص بالمنطقة العربية تتشكل على أساس الإنسلال الترميزي للتجارب الإنسانية، وما مرحلة التقعيد إلَّا إتمام للمراحل الأولى التي تشكلت فيها اللغة التواصلية.

فنجد في اللغة العربية كثيرًا من المسائل التي تتعلق بقضية التمييز بين الذكر والأنثى، أخذ بعضها التجلي الثقافي السلوكي، فنجد المرأة دائمًا في منطقة أقل من الرجل، بناءً على الأصول الأولى التي حددت الأولوية للرجل في عملية الخلق المتصلة بالنبي (آدم)، وهي صورة أصبحت ضمن نظام (اللاوعي) فلا ينظر الإنسان إلى الأصول التي شكلت الرؤية، التي هي صنيعة بشرية، بخلاف الطبيعة التي لا تفرق بين الاثنين.

وقد عملت الدراسات الحديثة (الحركة النسوية) بجميع تجلياتها المؤسساتية، على توظيف الفكر النقدي وتحديد الأصول، للوصول إلى مرحلة عدم التمييز بين النوعين ضمن الجنس الواحد، فكان التوجه نحو بيان الأسباب التي أدَّت إلى عملية التفريق بينهما في التعامل والحقوق.

ودراستنا هذه تقوم على توظيف الاتجاه النسوي للبحث في الأصول اللغوية القائمة على التميز بين المذكر والمؤنث على المستوى النحو، وبيان أسباب اختصاص الأنثى بخصائص نحوية من دون (الذكر)، وقد اخترنا في هذا البحث نموذج (التصريف) في اللغة، بوصف التأنيث علة أساسية من علل عدم التصريف ومن ثمَّ عدم التمكين.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2023.

توطئة:

يقوم الفعل الثقافي ومن ثمَّ السلوكي على البناء اللغوي، كما حدده (جاك لاكان) في الانباء النفسي ضمن قابليات اللّغة، فأصبح العقل والنفس قابلية لغوية نفسية قبل كل شيء، أي عمليات بنائية موروثة، فيصبح الإنسان خارج نطاق القدرة على صناعة الفرادة في التفكير، ضمن المفاهيم الخاضع لها ثقافيًا، مما جعل (لاكان) يقلب المعادة الديكارتية، (أنا أفكر إذاً أنا موجود)، التي حددت الإنسان ضمن قابلية الصناعة الفكرية، ليتحول إلى خاضع :(أنا أفكر حيث لا أوجد، وأوجد حيث لا أفكر)[1].

أي أنَّ القدرة على التفكير خاضعة للبناء اللّغوي، وبدوره أخضع النفس لمجموعة معايير ثقافية لغوية، ونحن إذ نتعامل مع اللغة التواصلية، فنحن نخضع لمفاهيمها، من دون محاولة فهم الأصل المنبثق منه، أو الأسباب التي آلت إلى وجود اللّغة المستعملة بهذه الطريقة، وظاهرة التذكير والتأنيث من الظواهر المسلم بها، بل العاملة على تشكيل صورة (ثقافية/ سلوكية) عن التمييز النوعي البشري، ومن ثمَّ تحديد السلطة الذكورية، فتصبح المرأة ضمن حدود الممتلكات الذكورية.

والسؤال المنطقي من عمل على جعل المرأة ضمن سلطة (الذكر) وحيازته؟

ننطلق من هذا السؤال من المسلمة التي طرحناها في خضوع التفكير للبناء اللغوية فهو القادر على توجيه الفكر نحو منطقة معينة، لأسباب آديولوجية سنتها السلطة –بمختلف تمثلاتها– في مرحلة زمنية وأصبح الإنسان خاضع لهذه الثقافة السلطوية، التي عملت اللغة على تسربها ضمن عمليات التقعيد الأولى للغة، على المستويات اللغوية جميعًا (لغوي وصرفي نحوي)، لتصبح ثقافة متسييدة لا يمكن عزل الإنسان عنها، على الرغم من التحول الثقافي في النظر إلى عمليات التمييز.

مفهوم الجندر

يقوم مفهوم (الجندر) على فكرة ثقافية، تنطلق من عملية التميز بين النوعين للجنس الواحد (ذكر/ أنثى)، فيكون التعاطي مع النوع على أساس المخرجات الثقافية لأي أمة وبحسب الثقافة المرحلية، فـ"(النوع الاجتماعي) هو أحد القضايا الجوهرية التي تهتم بها كل الثقافات إذ تقدم كل ثقافة لأبنائها تفسيرًا لوجود النوعين البشريين وأدوارهما العديدة وفقا للقرابة (Kinship) (والجنس)(Sex) و(العمل) (Work) و(العمر) (Age) كما وتزود كل ثقافة أبنائها بتوجيه عام حول معالجة العلاقات بينهما"[2].

فالتزود بالمعلومات الثقافية عن النوع يأتي من المعرفة القبلانية للمجتمع وللعائلة الواحدة، ومن ثمَّ تبدأ تتشكل الذات على أساس الاختلاف النوعي، الصادر من الانسلال اللغوي والترميزات الثقافية ضمن مقولات الواقع. لكن المصطلح يبقى غير مستقر وغير واضح المعالم بسبب التحولات الثقافية والآيدلوجيات المختلفة للشعوب[3]، فعملية التمييز النوعي (للجنس) أفضت إلى نتاجات ودراسات تعمل على تحديد الأسباب التي أدت إلى عملية التمييز، فالأصل مغاير عن الواقع الحالي "أن الكائن البشري لم يعد في عصر الليبرالية يولد مقيدًا بأغلال موقعه الاجتماعي، بل يولد حُرًّا ويستخدم ملكاته والفرص المتاحة لتحقيق المصير الذي يفضله، ومن الممكن منطقيًّا أن يحاول أيّ شخصٍ الوصول إلى أيّ مركزٍ

في المجتمع"[4]، هذا الطرح ضمن مرحلة زمنية سابقة للحظتها الآنية، فقط طرح نيتشة أفكاره في زمن قبل مرحلة ما بعد الحداثة، لكن البحث عن الأصول وتشكلاتها العقلية كانت النقطة التي انطلق منهـا لبلـورة مفاهيمـه حـول المجتمـع والأخلاق[5].

إنَّ النقطة الرئيسة التي تعمل عليها (الجندرية) ايجاد الأسباب المؤدية للتمايز، "وعلى العموم تعتبر الجندريـة أن التمايزات الموجودة بين الرجل والمرأة ليست سوى فوارقَ بيولوجية عضوية. وأن المساواة مطلقة في الثقافة والاجتمـاع والدور. ولذلك فإن كل تمايزٍ هو أمرٌ مصطنعٌ، يعود إلى عواملَ دينيةٍ، وسياسيةٍ، واجتماعيةٍ، واقتصاديةٍ، وذهنيةٍ. البعض يظن أن مصطلح (فيمينزم) هو مجرد تنويع على مصطلح (Women's Liberation movement) الذي يترجم عادةً إلى (حركة تحرير المرأة والدفاع عن حقوقها). وعليه فقد أخذ المصطلح الجديد تدريجيًّا محل المصطلح القديم، وكأنّهمـا مترادفان أو متقاربان في المعنى، أو أن المصطلح الجديد لا يختلف عن القديم إلا في كونه أكثر شمولاً أو أكثر جذرية"[6].

لابد من الاشارة إلى قضية مركزية في الدراسات الحديثة، وبالتحديد ما بعد الحرب العالمية الأولى، فقد كان للنتاج الذي قام به فرويد في مجال علم النفس، وفكرة (المركزية القضيبية)، والتي حدد فيها مصدر القوة للرجل، ومن ثمَّ وجود (عقدة الخصاء)[7] عند المرأة، الأمر الذي أثار حفيظة بعض المشتغلين على البنية النفسية، وهذا ما شمل كارل غوسـتاف يونغ –تلميذه– برفض اطروحات فرويد، لكن الشرارة الحقيقية لردة الفعل كانت بظهور دراسات تلغي وجود هذه الفكرة، ومن ثمَّ تم رصد الثقافة بوصفها المصدرة للمركزية، على خلاف فرويد الذي وضع الجانب البايلوجي والنفسي العنصـر الرئيس في وضع الريادة للذكر.

وإذا كان فرويد قد تناول الموضوع من جانب نفسي، فإن نيتشة تناوله من جانب اجتماعي ثقافي، وذهب يونغ إلى أبعد من ذلك وأشار إلى الجانب الأسطوري وأثره الفاعل في تشكيل الصور الثقافية، وفي عملية تسييد الفكر إلى جانـب محدد ضمن بنية (اللاوعي الجمعي) فما نشعر بها في معاملاتنا وسلوكنا الخاص يصل إلينا عن طريق (النماذج البدئية)[8]، ليكون (اللاوعي الجمعي) رافدًا مساهمًا في تشكيل البنية، وهذا ما لم يعتقد به فرويد.

تطورت الدراسات بعد حقبة فرويد ويونغ ومن بعدهم لاكان، "ربما كانت المحاولة الأكثر شمولاً لتنظير الفـارق بين الجنس والجنوسة في هذه الفترة توجد في كتابات المحلل النفساني وعالم الإناسة (روبـرت ج. سـتولر) (Robert J.Stoller)، الذي ظهر كتابه الذي يحمل عنوان الجنس والجنوسة: حول تطور الذكورة والأنوثة (Sex and Gender. On the Development of Masculinity and Feminity) في عام 1968. فقد حدد ستولر نقطة الانطلاق لأجـل عمله في ورقة فرويد حول (التكوين النفسي لحالةٍ جنسانيةٍ مثليةٍ لدى امرأةٍ) (1920) التي جادلت بأن الصفات الجنسـية الجسدية للشخص، ومواقفه العقلية وموضوعات رغبته يمكن أن تتغير بشكلٍ مستقلٍّ عن بعضها البعض، بحيث إن رجلاً ذا خواصٍّ ذَكَريّةٍ سائدةٍ يكون مذكرًا في حياته الإيروتيكية يظل من الممكن تحويله بالنسبة لموضوعه، يحب الرجال فقط بدلاً من النساء"[9]

ويمكننا أن نعتمد على التعريف الآتي للجندر بوصفه خلاصة بسيطة غير متشعبة "هو مصطلح حقوقي لا فئوي يعمل على إلغاء التصنيف الثقافي للذكور والإناث في فئتين هما فئة الرجال وفئة النساء ليوجه المجتمع للنظر إليهم كنوع اجتماعي قادر على تقلد كافة الأدوار الاجتماعية المختلفة وفقًا لمعيار الكفاءة ووفقًا للهوية الذاتية الجندرية التي يكونها الفرد بتصوره عن ذاته بعيدًا عن التصنيف البيولوجي مما يمنح النوع فرصة الاختيار والممارسة ضمن أطر ثقافية محددة حتى يتحقق معنى العدالة الاجتماعية ويخلق بذلك مجتمعًا متوازنًا تدخل فيه الأفراد في علاقات تفاعلية بنّاءة وليس علاقات صراع أو علاقات هرمية قائمة على أساس تفضيل جنس على جنس فيقود ذلك المجتمع إلى الاستفادة الكاملة من طاقاته البشرية وبالتالي يصل إلى تنمية اجتماعية واقتصادية وسياسية شاملة"[10].

بذلك يخرج المصطلح من البناء البايلوجي، ليحقق وجوده الثقافي المغاير، أو هي عملية تحول في بناء الثقافة، وفي هذا المجال عملت (زليخة أبو ريشة) على المسائل العربي وأثرها في صناعة الثقافة العربية، في كتابها (اللغة الغائبة)، وعملت على تقصي الدراسات التي اهتمت بالموضوع وتمَّ تصديره للمجتمع، واشارت إلى أثر (نوال سعداوي)[11] في هذا المجال بوصفها رائدة.

المرأة في المنظور العربي (المعجمي)

نجد في المعاجم العربية تصدير لصورة المرأة بناء على فكرة الخلق، وهي الصورة الثابتة في الذهن العربي، بوصف المرأة خُلقت من ضلع أعوج من أضلاع آدام، لتقترن –من ناحية المرتبة– بالدونية، بوصف آدم قد خلق من روح الله " **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**"[12]، ولم يحدد النص القرآني عملية خلق حواء، لكن الثقافة أو المؤثرات الخارجية الموروثة عملت على تصدير صورة مغايرة "إنّ المرأةَ خُلِقَتْ من ضِلَعٍ، وإنّ أعْوَجَ مَا فِي الضِّلَعِ أعْلاها، فَإِن ذَهَبْتَ تُقيمُها كَسَرْتَها، وإنْ اسْتمتَعْتَ بهَا استمتَعْتَ بهَا وفيهَا عِوَجٌ وشاهِدُ الثّانِي قولُ ابنِ مُفَرّغ:

وَرَمَقْتُها فَوَجَدْتُها ... كالضِّلْعِ ليسَ لَهَا استِقامَهْ"[13]

وعندما نجد هذه الرواية في معجم لغوي يتضح الاتصال ما بين البناء اللغوي والمعنى المصدّر، لذلك نظر العرب إلى المرأة على أنها جزء من كيان، أي لا تمتلك الكيان الكامل، ففي لحظة الولادة للأنثى يطلق على الوالدة مجزئة "(و) أجزأت (الأمُّ)، وَفِي بعض النّسخ: المرأةُ (ولَدت الإِنَاثَ) فَهِيَ مُجزِئة ومُجزِىءٌ، قالَ ثَعْلَب: وأُنشِدْت لبعضِ أهل اللُّغَة بَيْتا يدلُّ على أن معنى الإجزاء معنى الإيناث(...) أي آنثتْ، أي ولَدى أنْثى"[14].

هذا النمط من التشكيل الذهني صادر عن ثقافة الكتاب المقدس وليس من النص القرآني، وبما أن المصدر الكتاب المقدس يعني قدم الفكرة، وفي الكتاب المقدس نلاحظ عملية الخلق جاءت على شقين ففي الاصحاح الأول كانت مساوية وفي الاصحاح الثاني كانت جزء من الأصل ""فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْمًا. 22 وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. 23 فَقَالَ آدَمُ: «هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ

عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ"[15]. والدارسون للكتاب المقدس حددوا هذا التمايز في تصدير فكرة الخلق، بوصف العهد القديم كتب بيد شخصيات دينية "ولم يستطع هذا الفنان بعد كل هذا أن يخفي احتقاره الشديد للمرأة؛ فتأخر خلقها، فضلًا عن الطريقة الشاذة غير المشرفة التي خلقها بها- إذ شكلها الإله من جزء جسم سيدها آدم"[16].

شكلت ثقافة العهد القديم الصورة الرئيسة في بنية العقل العربي بناءً على توارد الأخبار عن خلق المرأة في الكتاب المقدس، ومن ثمَّ العمل على الصاق التهمة في النزول من الجنة ب(حواء)، ومن ثمَّ تصدير الثقافات العالمية على أنَّ المرأة هي مصدر الشر، ويتم تشبيهها بالأفعى، وقد عمل النص الأدبي العربي مع المعجم على تثبيت الفكرة، بوصف الشر صادر من المرأة، فيقول زهير:

"تَدارَكْتُمُ عَبْساً وذُبْيانَ، بعد ما ... تَفانَوْا، ودَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ

صَرَفَهُ للشِّعر .وَقَالَ أبو عَمْرو بْنُ الْعَلَاءِ :هُوَ مِنَ ابْتِدَاءِ الشَّرّ، وَلَمْ يَكُنْ يَذْهَبُ إِلَى أن مَنْشِمَ امرأةٌ كَمَا يَقُولُ غَيْرُهُ؛ وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيّ فِي عِطْرِ مَنْشِم :مَنْشِمُ امرأةٌ مِنْ حِمْيَر، وَكَانَتْ تَبِيعُ الطِّيبَ، فَكَانُوا إِذَا تَطَيَّبُوا بطيبها اشتدّت حربُهم فَصَارَتْ مَثَلًا فِي الشَّرّ؛ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ :مَنْشِمُ امرأةٌ كَانَتْ بِمَكَّةَ عَطَّارَةٌ، وَكَانَتْ خُزاعةُ وجُرْهُم إِذَا أرادوا الْقِتَالَ تطيَّبوا مِنْ طِيبِهَا، وَكَانُوا إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ كَثُرَ الْقَتْلى فِيمَا بَيْنَهُمْ فَكَانَ"[17].

فالحرب صادرة من المرأة، والجزء هي المرأة، وفي الخلق تالية لآدم، ليصبح البناء الكلي في الذهن ارتباط الصور الدونية بالمرأة، وهي خلاف الصورة الميثولوجية الأولى التي كانت فيها المرأة متصدرة للمشهد، بوصفها مركزية الخصب، فضلًا عن تقديمها كقرابين للآلهة[18]، ولا يتم تقديم القربان بالأشياء السيئة ضمن الفكر الميثولوجي، بل يتم تقديم أعز ما يملكه الإنسان.

جدلية التأنيث اللغوي والثقافي

تقوم اللغة العربية على أساس التقسيم الطبيعي للنوع الجنسي (ذكر/ أنثى)، وهو أمر مشترك بين مجموعة كبيرة من اللغات " واللغات السامية، ولغتنا منها، تنقسم الكلمات فيها، بالنسبة إلى الجنس، إلى قسمين: مذكر ومؤنث والأصح تقسيمها في لغتنا العربية ثلاثة أقسام: مذكر ومؤنث وما يذكر ويؤنث، وإذا استثنينا المذكر الحقيقي والمؤنث الحقيقي، نجد أنَّه لا صلة عقلية بين الاسم وجنسه"[19].

فالتذكير والتأنيث قائم على التميز في الأعضاء الجنسية، وما خلا ذلك يخضع لتقسيمات مجازية، فهناك "حقيقي: وهو ما كان له فرج الذكر بالنسبة للمذكر، وفرج الأنثى بالنسبة للمؤنث، نحو: رجل وامرأة، وجمل وناقة .

ــ غير حقيقي أو مجازي: وهو ما لم يكن له فرج الذكر أو فرج الأنثى، نحو: الجدار والجبل والقدر والنار ، وغيرها"[20]. ليتحدد المؤنث والمذكر على أساس الأعضاء الجنسية ضمن الوجود اللغوي، وهو ما يشمل على الحيوانات

أيضًا، فالتقسيم ليس خاصًا بالإنسان " وعليه فهناك ما يستحق ب(بالطبع) وهو الإنسان والحيوان، وهو : الحقيقي لاشتماله على عضو التذكير أو التأنيث، وهناك ما يستحق التذكير والتأنيث ب(الوضع) والاصطلاح، ويكون في غير الانسان والحيوان، كالجمادات والمعاني وغيرها"[21]، هذا يعني أن الحقيقة تعني الوجود الواقعي للتميز، والمجاز خاص بالأشياء التي لا تمتلك وجود واقعي جنسي، والمجازي خاضع للبناء الثقافي، أو المتفق عليه ضمن المواضعة لمجموعة بشرية.

والسؤال إذا كانت اللغة تقسم على أساس المذكر والمؤنث، فما هو الأصل التذكير أم التأنيث في اللغة؟، يكاد يتفق أصحاب اللغة القدماء على أن اللغة في أصلها تذكير كما يحدد سيبويه "الأشياء كلّها أصلها التذكير ثم تختصّ بعد، فكل مؤنث شيءٌ، والشيء يذكّر، فالتذكير أول، وهو أشد تمكناً"[22]، هذا يعني أن اللغة تأخذ الشكل الوجودي للجنس البشري، بوصف الذكر هو المخلوق الأول، فتكون عملية التذكير مرتبطة بالأصل، ليرتبط المفهوم اللغوي ضمن البناء اللاواعي للإنسان في تحديد المدركات، لنعود إلى الحلقة الأولى التي طرحناها في أن اللغة هي من تجعلنا نفكر، واللغة الأولى فرضت علينا أن الأصل ذكوري.

والسؤال الأهم إذا كان المجاز قائم على فكرة التواضع، فهل ينسحب ما يمس المؤنث الذي حددناه مسبقًا بالدونية على الأشياء المجازية؟

إذا كان المؤنث يدل على المرأة، فإن التأنيث يأخذ شكل الانسلال الثقافي للمرأة، فعملية التقسيم الثقافية للنوع على أساس الجنس، والنظرة الدونية التي حددناها مسبقًا، يكون المؤنث ملازم للفكرة الخاصة بالمرأة، فعلى الرغم من التقسيم الخاص باللغة العربية بوصفها تقوم على فكرة التذكير والتأنيث، إلّا أنها لا تعمل على اعطاء المؤنث ما يعطى للذكر لا على مستوى البناء اللغوي ولا على مستوى البناء الثقافي، وهنا نستحضر الرواية الآتية " وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنهُ: إذا بَلَغَ النِّسَاءُ! نَصَّ الحِقَاقِ هذِه الرِّوَايَة المَشْهُورَةُ، أو نَصَّ الحَقَائِقِ فالعَصَبَةُ أوْلَى أي بَلَغْنَ الغَايَةَ الَّتِي عَقَلْنَ فِيهَا وعَرَفْنَ حَقَائِقَ الأمُورِ، أو قَدَرْنَ فِيهَا على الحِقَاقِ، وَهُوَ الخِصَامُ، أو حُوقَّ فِيهِنَّ، فقالَ كُلٌّ من الأوْلِيَاءِ أنَا أحَقُّ، وقال الأزهري: نص الحقاق إنما هو الإدراك، وأصله منتهى الأشياء، ومبلغ أقصاها."[23]، إي أن المرأة لا تستطيع أن تدرك نصف الادراك، وإذا بلغت النصف طالبت بحقوقها، وهنا تبدأ عملية تصدير الشر من المرأة، لتلقي هذه الفكرة مع الفكرة التي حددناها بأن المرأة هي السبب في انزال آدم من الجنة، وهي الشر، وهي الصورة ذاتها التي رسمها زهير بن أبي سلمى.

أما الصورة التي يحتج بها بعضهم على أن (المؤنث/ المرأة) قد أُعطيت حقها من قبل الشعراء، بالاستشهاد ببيت المتنبي الذي قال فيه:

وما التأنيثُ لاسم الشّمسِ عَيبٌ ولا التّذكيرُ فَخْرٌ للهلالِ[24]

بوصف البيت يعمل على عدم التمييز بين الذكر والأنثى، فهو كلام مغلوط، لأن الاستعمال معنوي وليس حقيقي أولًا، وحتى في المعنوي يأخذ المذكر الجانب السلطوي، لأن الشمس على الرغم من محمولاتها الأنثوية من ناحية اللفظ، إلّا أنها ترمز للإله المذكر، بينما يرمز القمر (الهلال) للإله الأنثى، وهو ما معمول به في الميثولوجيا البابلية في (تموز/

عشتار) والفرعونية في (أوزريس/ إيزيس) وهما على التوالي (الشمس/ القمر)[25]، ليصبح التنميط المتخذ من المتنبي تميزًا ذكوريًا وليس على أساس المساواة.

والثقافة العربية ترفض المساواة بين الرجل والمرأة، وهذا ما يتجسد في رفض شعر (كثير عزة) في قوله:

ولستُ براضٍ من خليلي بنائلٍ قليلٍ ولا رَاضٍ لهُ بقليلِ[26]

ما حمل النقاد على وصفه بالشعر الضعيف لأنه ساوى في المطالب، وهو ما لا يمكن في الثقافة العربية.

التأنيث والممنوع من الصرف

الممنوع من الصرف من المواضيع المركزة في النحو العربي، ويعني عدم الحاق التنوين بـه، كـي لا يـتمكن، والتمكن صفه خاصة بالأصل، وليس الفرع، فالفعل لا يمكن أن يتمكن بنفسه لذلك لا ينون، لكن مصدره قابل للتنوين على أساس الأصل الذي هو اسم فيكون متمكنًا[27]، لأنه يخرج من خانة الثقل.

فالثقل والتخفيف هو السبب الرئيس المائز في عملية التصريف، ف(الدال) الثقيل لا يمتلك الامكانية للتصـريف، و(الدال) الخفيف يمتلك امكانية التصريف، فقد ورد "وأعلم أنّ بعض الكلام أثقلُ من بعض، فالأفعالُ أثقلُ من الأسماء لأنّ الأسماء هي الأُولى، وهي أشدُّ تمكّنا، فِمن ثم لم يَلحقها تنوينٌ ولحقها الجزْم والسكون، وإنّما هي من الأسماء. ألا تَرى أنّ الفعل لا بدّ له من الاسم وإلاّ لم يكن كلاماً، والاسمُ قد يَستغنى عن الفعل، تقول :اللهُ إلهُنا، وعبدُ الله أخونا"[28]. فـالتخفيف والثقل قائم على فكرة وجود الأصل، فمن يكون أصلًا يكون أخف، فيجري على اللسان أكثر، ومن لا يمتلك الأصل يكون أقل في مجرى الكلام، ومن يمتلك الحضور الأغلب له امكانية التصريف، فمن يصرف يجب أن يمتلك الأصل، ومـن لا يمتلك لا يصرف، بذلك تكون فكرة التصريف قائمة على أركان:

1- الثقل والخفة

2- الأصل والفرع

وهذه الأركان هدفها تحقيق السهولة في الكلام، والتحول في انشاء الجمل والمعاني بيسر وسهولة، لذلك كان الفعل لا يصرف والاسم يصرف على سببين:

1- إنَّ الاسم أكثر من الفعل استعمالًا، فالفعل يحتاج إلى اسم يكون معه، وقد يستغني عن الفعل لوجود الاسم، لأنه أصل، فيكون الأصل قابل للتصريف.[29]

2- إنَّ الفعل يقتضي فاعلًا ومفعولًا، فتصبح الجملة مركبة، فتكون أثقل من الاسم الذي لا يحتاج إلى التركيب[30].

فالتنوين لأجل حصول التمكين، والأفعال لا يمكن تمكينها، والفرع لا يمكن تمكينه، والأصل أولى "إن الأفعـال إنّمـا يمتنع منها تنوينُ التمكين، وهو الدالُّ على الخفّة؛ فأمّا غير ذلك من التنوين فإنّه يدخلها."[31]، فما بين الأصل والخفة تكون عملية التصريف (التمكين) دالة على الأصل الوجودي والاستعمالي، ومن هنا تتم عملية تحديد الأصـول فـي (الـدوال) المشكلة للكلام.

فعلى أساس الأصل تكون النكرة أكثر قابلية على التمكين، لأن أصل (الدال) نكرة، تمَّ تعريفه بوجود الفكرة الدالة عليها، على أساس أن الدال لا يمتلك وجوده المطلق، لكن الفكرة (نكرة) تمتلك الوجود بحسب سوسير[32]، ويتم التعريف بها عن طريق (الدال) فتصبح معرفة، هذا ما مثله كلام سيبويه "وأعلم أن النكرة أخفُّ عليهم من المعرفة، وهي أشدُّ تمكّنا؛ لأنّ النكرة أولّ، ثم يَدْخلُ عليها ما تُعَرّف به. فمن ثَمّ أكثرُ الكلام ينصرف في النكرة"[33]. فعملية تبويب التمكين للنكرة قائمة على الأصل والفرع، (الفكرة/ دال) فيتم التصريف على أساس الأصل وهو التمكين، إي صاحب القدرة، وهي مرتبطة بالبناء الميثولوجي، بوصف الأصل هو من يتحكم بالوجود، وهو المتمكن بناءً على القدرة سواء أكانت لغوية فاعلة كما حدث في خلق الإنسان، أو سلوكية كما حدث في خلق الكون[34].

ومن ثمَّ ينطلق التأسيس لتشكيل بنية متكاملة من أحقية التمكين، على أساس الأصل والفرع، والكثرة والقلة، "وأعلم أن الواحد أشدُّ تمكنا من الجميع، لأنّ الواحد الأوّل، ومن ثم لم يَصْرِفوا ما جاء من الجميع ما جاء على مثال ليس يكون للواحد، نحو مَساجِدَ ومَفاتيحَ"[35]. ونلاحظ أن الفكرة المسيطرة على التقسيم هي (الواحد) وهي فكرة سلطوية، قائمة على البناء الميثولوجي والديني، التي أخرجت لنا أصحاب القدرات الخارقة، أو أصحاب الخلق الأول[36].

ومن ثمَّ يتم الانتقال بعد مرحلة التأسيس على أساس الأصل والواحد إلى فكرة التأنيث والتذكير، والتي ترتبط مع سابقاتها في الفكر الميثولوجي المتسرب إلى بنية (اللاوعي الجمعي)، بوصف الأصل ذكر، والفرع أنثى، فيتم نسج الفكرة على هذا الأساس "واعلم أن المذكّر أخفّ عليهم من المؤنّث لأنّ المذكر أوّل، وهو أشدُّ تمكنا، وإنّما يخرج التأنيثُ من التذكير. ألا ترى أنّ " الشيء " يقع على كلّ ما أخبر عنه من قبل أن يُعْلَم أذكرٌ هو أو أُنثى، والشيء ذكر، فالتنوين علامة للأمكن عندهم والأخفّ عليهم، وتركُه علامةٌ لما يستثقلون. وسوف يُبَيَّن ما ينصرف وما لا ينصرف إن شاء الله"[37].

فالمذكر أصل وهو ما أعطاه حق التمكين، والتأنيث فرع، وهو ما جعله ممنوع من الصرف، وهو ثقيل، ولا يمثل الكثرة، مع أن التأنيث يأخذ جانب (الاسم)، إلّا أنه وضع في خانة عدم التمكين، ومن علامات الاسم "الاسم ما دلّ على معنى في نفسه، دلالة مجرّدة عن الاقتران، وله خصائص ,منها : جواز الإسناد إليه، ودخول حرف التعريف، والجرُّ، والتنوين، والإضافة[38]".

فإذا كان الاسم هو الأصل، أليس التأنيث ضمن الأصل؟ هنا تأتي عمليات التخريج على أساس المشابهة بالفعل، أو على أساس الأصل والفرع، بوصف التذكير أصل، لنصل للسؤال المركزي، من عمل على وضع المؤنث في باب (عدم التصريف/ عدم التمكن)، ومن ثمَّ عدم الأصل، إي أن الأنثى فرع والذكر أصل؟.

يعلل الدكتور فاضل السامرائي، قضية التمكين على أساس اللغة والاستعمال ضمن مقولات الأصل، والكثرة والقلة قائلًا: "فمدار كل ذلك على الخفة والثقل الذي مداره الكثرة والقلة، فالمعارف أقل من النكرات، لأن النكرات أصل ثمَّ يدخلها التعريف بأل وغيرها، ثمَّ إنّ الممنوع من الصرف يتعلق بالعلم، ولا مدخل له مع غيره من المعارف ... فهو متعلق بالعلم وحده من المعارف، ولا شكّ أنَّ أسماء الأجناس أكثر بكثير من العلم فإن العلم يطلق على واحد من أفراد

الجنس، فكلة (نهر) أكثر من (دجلة) أو (النيل) لأن دجلة خاصة بواحدة من الأنهار، وكلمة (رجل) أكثر بكثير من كلمة (محمد) أو (إبراهيم)"[39]

وهكذا يعلل الأسباب وراء عدم التصريف، لكن الأنثى تصبح مقصية بالأساس لأنها لا تحمل الأصل، فهي فرع، وهذه الصفة أخذتها من البناء الأصل للوجود الجنسي (النوع) الذي حددناه مسبقًا في فكرة الخلق التي صدّرها العهد القديم، وفكرة اللغة لا تقوم على أساس التصنيع الآني، بل على الانسلال الثقافي والفكري بالكامل ضمن بنية (اللاوعي الجمعي)، فتصبح عملية الأصل والفرع ليست من بناء العربي لوحده، بل من صناعة الموروث بالكامل الذي صدّر فكرة الخلق الجنسي التي ألقت بظلالها على الاستعمال اللغوي، بوصف التفكير قائم على وجود اللغة، وعندما فكر الإنسان وضع الخلق بيد الذكر.

وفكرة الخلق متصلة بالرواية التي أوردناها عن الإمام علي في عدم التمكن، وهي مرتبطة باللغة، الذي تُقعّد على أساس عدم التصريف، أي عدم (التمكن)، لتصبح في زاوية أقل مرتبة من المتمكن (المذكر)، لتصبح البنية اللغوي فاعلة ومنفعلة في تحديد هوية المرأة (الأنثى) ضمن منطقة الأدنى.

وفكرة الجزء متممة للفكرتين السابقتين، فالمرأة تمتك الجزئية، بينما يمتلك (الذكر) الكلية، وهي قريبة من أفكار (فرويد) في تحديد هوية المرأة على أساس عقدة الخصاء، وهي الصورة التي وظفها لاكان في الانباء النفسي للمرأة على أساس اللغة، ومن ثمَّ تنبه لها إدلر بوجودها في مرحلة الطفولة عندما يشعر بعقدة النقص[40]، فهي من تفعل في التفكير، فتصبح المرأة ضمن الهوية اللغوية، وما التقعيد إلا صورة مقننة للثقافة اللاوعية في السلوك والتمييز الجنسي، الذي أصبح ثقافة بفعل فاعلية اللغة الترميزية عند الطفل أولًا، ومن ثمَّ عمل الموروث على تجليها ثقافيًا، ليتساير الفعل اللغوي والثقافي في نمذجة المرأة ضمن المرتبة الأدنى.

لذلك على المتخصصين في مجال اللغة البحث في الأصول المشكل للبناء اللغوي ومن ثمَّ التقعيدي بتمفصلاته المختلفة، لبيان أثره في ترسيخ الثقافة، وبيان أثر الثقافة في توجيه اللغة الحالية على عمليات التمييز.

النتائج:

خلص البحث الخاص بالاتجاه الجندي حول عمليات التمييز النوعي للجنس على مجموعة من النتائج منها:

1- ظهور حركة نسوية عاملة على إعادة النظر بالاتجاهات الثقافية العاملة على التمييز بين الجنس الواحد.

2- فاعلية اللغة في التنميط الثقافي حاضر بناء على وجود الأصل الوجودي للإنسان منذ لحظة وجود الحكايات الأسطورية التي حددت الخلق مقترنًا بالذكر صاحب القدرة والتمكن.

3- انسلال الأفكار الموروثة عن الماضي السحيق ضمن اللغة الاستعمالية فألقت بظلالها على البناء التقعيدي للغة.

4- أثر الكتاب المقدس في تحديد الأصل الذكوري، وثانوية المرأة بوصفها خُلقت من ظلع الذكر.

5- أثر الروايات العربية في تمظهراتها المختلفة في تشكيل الوعي والثقافة لدى الفرد وعملية تصدير المرأة بأنها أقل مرتبة من الذكر، بناء على خلقها من ظلع أعوج، وعدم القدرة على التمكن.

6- التنكير يعني التمكين، وهو قائم على أساس القدرة القائمة على فكرة الخفة في الاستعمال، وهي خاصية مرتبطة بالذكر أكثر من الأنثى.

7- الخفة والثقل، الأصل والفرع، أفكار فاعلة في تقعيد البناء النحوي، المنسل للبناء الثقافي.

8- عدم امكانية الأنثى على التمكن قائم على فرعيتها من التذكير على المستوى اللغوي، فالتذكير أصل، والتأنيث فرع، وهي فكرة منسلة من المثولوجيا أولًا، والنص الديني التوراتي ثانيًا، والموروث الخاص بالروايات العربية ثالثًا، فتصبح فاعلية الموروث سلطوية على الفكر، إلى مرحلة اقناع المرأة بمرتبتها إتجاه الذكر.

Abstract

Femininity and masculinity in the original grammar and semantics, which is prohibited from the inflection as an example
(gender study)
By Rasha Yas Abdel Nassar

The heritage exercised its sway over the human way of thinking in general, and the Arabic language in particular, and when we define the heritage, we mean by it the human heritage in general, since the beginning of civilization, as the first text that worked on modeling and coding things, and the Arabic language as a language specific to the Arab region that is formed on the basis of the coding infiltration of human experiences , And the stage of squatting is nothing but a completion of the first stages in which the communicative language was formed.

We find in the Arabic language many issues related to the issue of distinguishing between male and female, some of which took the behavioral cultural manifestation, so we find the woman always in a lesser area than the man, based on the first principles that determined the priority of the man in the process of creation related to the Prophet (Adam), and it is an image that has become Within the (unconscious) system, a person does not look at the assets that formed the vision, which is a human creation, unlike nature, which does not differentiate between the two.

Recent studies (the feminist movement) in all its institutional manifestations have worked on employing critical thinking and defining the origins, to reach the stage of non-discrimination between the two genders within the same sex.

And our study is based on employing the feminist trend to research the linguistic origins based on the distinction between the masculine and the feminine at the grammatical level, and explaining the reasons for the female’s specialization in grammatical characteristics without (the male), and we have chosen in this research the (conjugation) model in the language, describing femininity as a fundamental cause of The reasons for the non-disbursement and then the non-empowerment.

الهوامش

[1] – ينظر: كوجيتو اللغة: الأنا أفكر...والأنا لا أوجد، رينيه ديكارت وجاك لاكان، سامي محمد عبد العال، مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم الانسانيات والعلوم الاجتماعية، مج 13، ع2، 2021: 2187.

[2] – مفهوم الجندر والدور البنائي المتغير "دراسة أنثروبولوجية"، هدير محمد محمود عبد الحافظ، مجلة جامعة الاسكندرية، د.ت: 588.

[3] – ينظر: مفهوم الجندر دراسة في معناه، ودلالته، وجذوره، وتياراته الفكرية، خضر إ. حيدر، مجلة الاستغراب، العدد 16، 2019: 284.

[4] – د. عطيات أبو السعود –نيتشه والنزعة الإنسانية – مجلة فصول– العدد 65 عام 2002م – صـــ37.

[5] – ينظر: أصل الأخلاق وفصلها، فردريك نيتشة، ترجمة حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت– لبنان، د.ت: 9–10.

[6]– مفهوم الجندر دراسة في معناه، ودالالته، وجذوره، وتياراته الفكرية، خضر إ. حيدر، مجلة الاستغراب، العدد 16، 2019: 285-286.

[7]– ينظر: التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية، المقاربة العيادية، فيصل عباس، دار الفكر العربي بيروت، 1996، ط1: 84.

[8]– ينظر: دور اللاشعور ومعنى علم النفس للإنسان الحديث، كارل غوستاف يونغ، ترجمة نهاد خياطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، 1992، ط1: 15-17.

[9]– مفهوم الجندر دراسة في معناه، ودلالته، وجذوره، وتياراته الفكرية، خضر إ. حيدر، مجلة الاستغراب، العدد 16، 2019: 287.

[10]– مفهوم الجندر والدور البنائي المتغير "دراسة أنثروبولوجية"، هدير محمد محمود عبد الحافظ، مجلة جامعة الاسكندرية، د.ت: 589.

[11]– ينظر: اللغة الغائبة: نحو لغة غير جنوسية، زليخة أبو ريشة، مركز دراسات المرأة عمان– الأردن، 1996، ط1: 13-15.

[12]– الحجر: 28-29.

[13]– تاج العروس: مادة ضلع.

[14] – تاج العروس: مادة: جزأ.

[15]– الكتاب المقدس، سفر التكوين 2: 21-23.

[16] – الفلكلور في العهد القديم، جميس فريزر: 28.

[17]– لسان العرب: مادة نشم.

[18]– ينظر: القربان في الجاهلية والاسلام، وحيد السعفي، دار الانتشار العربي، لبنان– بيروت، 2007، ط1: 24.

[19]– المعجم المفصل في المذكّر والمؤنّث، بديع إميل يعقوب، بيروت، لبنان : دار الكتب العلمية 1414 ه. 1994 -م، ط1 :8.

[20]– ظاهرة الجنس، (التذكير والتأنيث) مقاربة لسانية، عمر بوبفار، مجلة الأثر، العدد 13، 2012: ص22

[21]– ظاهرة الجنس، (التذكير والتأنيث) مقاربة لسانية، عمر بوبفار، مجلة الأثر، العدد 13، 2012: ص23

[22]– الكتاب، سيبويه: ج3: 243.

[23] – تاج العروس: مادة: نصص.

[24]– ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، 1983، 267.

[25]– ينظر: معجم الآلهة والكائنات الأسطورية في الشرق الأدنى القديم، عيد مرعي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2018: 156.

[26]– ديوان كثير عزة، جمعه وحققه احسان عباس، دار الثقافة بيروت– لبنان، 1971: 112.

[27]– ينظر: معاني النحو: 244-245.

[28]– الكتاب، سيبويه، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، 1998، ط3: ج1، 20-21.

[29]– ينظر: معاني النحو: 246.

[30]– ينظر: المصدر نفسه.

[31]– شرح المفصل للزمخشري: 179.

[32]– ينظر: علم اللغة العام، فرديناند دي سوسور، يوئيل عزيز يوسف، دار آفاق عربية، 1985، ط3: 26.

[33]– الكتاب، ج1: 22.

[34]– ينظر: مغامرات العقل الأولى، دراسة في الأسطورة، سورية وبلاد الرافدين، فراس السواح، دار الحكمة، د.ت، ط11: 56.

[35]– الكتاب: 22.

[36]– ينظر: مغامرات العقل الأولى: 56-60.

[37]– الكتاب: 22.

38- شرح المفصل للزمخشري: 81.

39- معاني النحو: 249.

40- ينظر: التحليل النفسي والاتجاهات الفرودية: 84.

المصادر:

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس

1. أصل الأخلاق وفصلها، فردريك نيتشة، ترجمة حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت- لبنان، د.ت.
2. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، طبعة الكويت، مجموعة من المحققين.
3. التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية، المقاربة العيادية، فيصل عباس، دار الفكر العربي بيروت، 1996، ط1.
4. دور اللاشعور ومعنى علم النفس للإنسان الحديث، كارل غوستاف يونغ، ترجمة نهاد خياطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، 1992، ط1.
5. ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، 1983.
6. ديوان كثير عزة، جمعه وحققه احسان عباس، دار الثقافة بيروت- لبنان، 1971.
7. شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2001، ط1.
8. ظاهرة الجنس، (التذكير والتأنيث) مقاربة لسانية، عمر بوبفار، مجلة الأثر، العدد 13، 2012.
9. علم اللغة العام، فرديناند دي سوسور، يوئيل عزيز يوسف، دار آفاق عربية، 1985، ط3.
10. الفلكلور في العهد القديم، جميس فريزر، ترجمة، نبيلة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972.
11. القربان في الجاهلية والاسلام، وحيد السعفي، دار الانتشار العربي، لبنان- بيروت، 2007، ط1.
12. الكتاب، سيبويه، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، 1998، ط3: ج1.
13. كوجيتو اللغة: الأنا أفكر...والأنا لا أوجد، رينيه ديكارت وجاك لاكان، سامي محمد عبد العال، مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم الانسانيات والعلوم الاجتماعية، مج 13، ع2، 2021.
14. لسان العرب، ابن منظور، تحقيق، اليازجي ومجموعة من اللغوين، دار صادر، 1414هـ، ط3
15. اللغة الغائبة: نحو لغة غير جنوسية، زليخة أبو ريشة، مركز دراسات المرأة عمان- الأردن، 1996، ط1.
16. معاني النحو، فاضل السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، 2003، ط2.
17. معجم الآلهة والكائنات الأسطورية في الشرق الأدنى القديم، عيد مرعي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2018.
18. المعجم المفصل في المذكّر والمؤنّث، بديع إميل يعقوب، بيروت، لبنان : دار الكتب العلمية. 1414 .ه1994 ، ط1.
19. مغامرات العقل الأولى، دراسة في الأسطورة، سورية وبلاد الرافدين، فراس السواح، دار الحكمة، د.ت، ط11.
20. مفهوم الجندر دراسة في معناه، ودلالته، وجذوره، وتياراته الفكرية، خضر إ. حيدر، مجلة الاستغراب، العدد 16، 2019.
21. مفهوم الجندر والدور البنائي المتغير "دراسة أنثروبولوجية"، هدير محمد محمود عبد الحافظ، مجلة جامعة الاسكندرية، د.ت.
22. نيتشه والنزعة الإنسانية، عطيات أبو السعود مجلة فصول، العدد 65 عام 2002م.